

ملخص خطبة الجمعة

بتاريخ 2024/10/25

يتابع حضرته الحديث عن حصار حصون بني قريظة بعد غزوة الأحزاب، وذلك لمعاقتهم على إضرارهم بالمسلمين ونقضهم العهد. فلما جهدهم الحصار، نزلوا على حكم رسول الله ﷺ. وقد استنتج مرزا بشير أحمد ﷺ من خلال دراسته للروايات التاريخية المختلفة أن مدة هذا الحصار كانت حوالي عشرين يوماً.

أمر رسول الله ﷺ بأسراهم فكتفوا رباطاً، وجعل على كتفهم محمد بن مسلمة، ونحوا ناحية، وأُخرجت النساء والذرية من الحصون فكانوا ناحية، واستعمل عليهم عبد الله بن سلام، وجمعت أمتعتهم وما وجد في حصونهم، ووجدوا فيها ألفاً وخمسمائة سيف وثلاثمائة درع، وألفي رمح، وألفاً وخمسمائة ترس وحقفة وأثاثاً كثيراً، وآنية كثيرة، وخرما، وجرارا، وسكرًا فأهريق ذلك كله. ووجد من الجمال، ومن الماشية شيئاً كثيراً، فجمع هذا كله.

تواثب زعماء الأوس إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله بنو قريظة حلفاؤنا. وقد ندم حلفاؤنا على ما كان من نقضهم العهد فهبهم لنا، قال رسول الله ﷺ اختاروا من شئتم من أصحابي فاختراروا سعد بن معاذ، فرضي بذلك رسول الله ﷺ.

كان سعد رئيساً لقبيلة الأوس وحليفاً لبني قريظة. وبالتالي لم يطمئن أفراد قبيلة الأوس فحسب بل فرحوا أيضاً لأنهم ظنوا أن الأمر الآن في أيديهم، قال رسول الله ﷺ احكم فيهم.

ثم قال سعد: أحكم فيهم أن يُقتل رجالهم البالغون، وتُسبى نساؤهم وأولادهم، وتُقسم أموالهم، وتُعطى ديارهم للمهاجرين دون الأنصار، فقال رسول الله ﷺ: يا سعد، قد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سماوات.

وقال حضرة مرزا بشير أحمد بهذا الصدد:

يبدو أنه بسبب خيانة بني قريظة وغدرهم وتمردهم وفتنتهم وفسادهم وسفكهم الدماء، كانت المحكمة الإلهية قد قررت سلفاً بالقضاء على مقاتليهم عن بكرة أبيهم، حيث يتجلى من الدافع الغيبي الذي دفع النبي ﷺ للقيام بهذه الغزوة أيضاً أن هذا كان قدراً إلهياً، ولكن الله تعالى لم يشأ صدور هذا القدر على يد رسوله، ولذلك أبقى الله رسوله ﷺ بعيداً تماماً بتصرفاته الغيبية العديدة، وجعل الإعلان عن هذا القدر يتم على يد سعد بن معاذ، كما جعل هذا القرار يصدر على نحوٍ لم يعد بعده النبي ﷺ قادراً على التدخل فيه على الإطلاق، إذ كان ﷺ قد تعاهد على التزامه بحكم سعد بن معاذ مهما كان.

في صبيحة اليوم التالي كان موعد تنفيذ حكم سعد بن معاذ ﷺ. فعين النبي ﷺ عدداً من الرجال الأكفاء لتنفيذ المهمة، وجلس في مكان قريب من هنالك وذلك أنه لو بدا أمرٌ يتطلب توجيهها منه خلال تنفيذ

الحكم أمر صحابته بفعل اللازم بدون تأخير. وقد أمر النبي ﷺ بمقتضى الرحمة بأن يُقتل المجرمون واحداً تلو الآخر على انفراد، وقُتلوا وفقاً لحكم سعد بن معاذ.

وعندما كان حيي بن الأخطب، زعيم بني النضير، يقاد إلى الإعدام، قال للنبي ﷺ: "يا محمد، ما ملت نفسي على عداوتك، ولكن الحقيقة أن من يُخذل الله، يُخذل. ولا بأس بقدر الله، قدر وكتاب".
عندما قيد كعب بن الأسد، زعيم بني قريظة، لمكان تنفيذ حكم إعدامه، حثه النبي ﷺ ضمناً على قبول الإسلام، فأجاب: "يا أبا قاسم، لولا أن تعيرني اليهود بالجزع من السيف لاتبعتك، ولكني أموت على دين اليهود".

ورد ذكر استعفاء اليهودي رفاعة. كتب عنه مرزا بشير أحمد ﷺ: كان هناك يهودي آخر، واسمه رفاعة، قام بإقناع سيدة مسلمة لتشفع له عند النبي ﷺ، الذي استجاب لاسترحامها وأمر بالمحافظة على حياة رفاعة. فكان كل من شُفع له عند النبي ﷺ في ذلك الوقت، عفا عنه فوراً. هذا دليل على أنه بالرغم من التزامه ﷺ بتنفيذ حكم سعد إلا أن قلبه كان مائلاً نحو الرحمة. هذا رد واضح على تهمة ظلمه.
وبحسب روايات التاريخ لم يقتل من نسائهم إلا امرأة واحدة، كانت قد قتلت صحابياً مسلماً، فقتلت قصاصاً لهذا القتل. ولكن بعض كتاب السيرة لا يتفقون مع هذه الرواية.

واقعة ریحانة بنت زيد النضيرية.

يذكر حضرة مرزا بشير أحمد ﷺ تحت عنوان "واقعة ریحانة غير الصحيحة":
يكتب بعض المؤرخين أن من بين أسرى بني قريظة كانت امرأة تدعى ریحانة احتفظ بها النبي ﷺ كجارية، وبناءً على هذه الرواية وجه السير وليام موير طعنًا مؤلماً للقلب ضد النبي ﷺ، ولكن الحقيقة أن هذه الرواية خاطئة تمامًا ولا أساس لها.

أولاً، فإن رواية البخاري التي تبين أن النبي ﷺ وزع أسرى بني قريظة بين الصحابة تثبت خطأ هذه الرواية. فلو كان النبي ﷺ قد خصص أي امرأة أسيرة لبيته، لكان ينبغي طبيعياً أن يُذكر ذلك في رواية البخاري، ولكن ليس هناك حتى إشارة إلى ذلك في صحيح البخاري.

علاوة على ذلك، يثبت بشكل قاطع من روايات أخرى أن ریحانة كانت من بين الأسرى الذين أطلقهم النبي ﷺ إحساناً، وبعد ذلك غادرت ریحانة المدينة وعادت إلى عائلة بيت أهلها بني النضير وبقيت هناك. فقد نقل ابن سعد رواية على لسان ریحانة نفسها تقول فيها إن النبي ﷺ أعتقها ثم تزوجها بعد إسلامها وكان مهرها 12 أوقية (40 درهماً).

كما يُستدل من رواية البخاري وكما صُرح في الإصابة، لم يأخذ النبي ﷺ ریحانة تحت رعايته بل أعتقها، وبعد ذلك عادت للعيش مع عائلتها. ثانياً، لو قبلنا الرواية القائلة بأن النبي ﷺ أخذها تحت رعايته، فإنه ﷺ أعتقها وتزوجها ولم يتخذها جاريةً. كما ورد في رواية ریحانة نفسها التي نقلها البعض.

بالإضافة إلى ذلك، ينبغي أن نتذكر أن هناك اختلافاً كبيراً في الروايات حول اسم ریحانة ونسبها وقبيلتها، لدرجة أن الشك في وجودها نفسه قد لا يُعدّ غير معقول، خاصة عندما نضع في الحسبان أنها تُذكر كزوجة لشخص هو أهم شخصية تاريخية حتماً في العالم. والله أعلم.

توزيع الغنائم:

- قَسَمَ النبي ﷺ التمر في حصص مختلفة ووَزَعَهَا.
- كان في هذه الغزوة ستة وثلاثون فرساً. وجُعِلَ للفرس نصيبان وللفارسي نصيبٌ وللراجل نصيبٌ.
- وأُسر في الغزوة ألف من النساء والأطفال.

لقد بحث مرزا بشير أحمد رحمته الله بنفسه في الموضوع من مختلف كتب التاريخ. فكتب بهذا الشأن: يتبين من بعض الروايات أن النساء والأطفال الذين أُسروا وفقاً لحكم سعد، أن النبي ﷺ أرسل بعضهم إلى نجد، حيث دفعت بعض القبائل النجدية فديتهم وبذلك دبروا حرّيتهم، واستخدم المسلمون هذه الأموال لشراء الخيول والأسلحة لاحتياجاتهم الحربية. وإن حدوث ذلك ليس مستبعداً لأن القبائل النجدية وبني قريظة كانوا حلفاء بعضهم البعض..... لكن يتبين من الروايات الصحيحة أن هؤلاء الأسرى بقوا في المدينة ولم يذهبوا إلى أي مكان. ووزعهم النبي ﷺ على مختلف الصحابة للإشراف عليهم. ثم حصل بعضهم على حرّيتهم بدفع الفدية، وأطلق النبي ﷺ سراح بعضهم كإحسان منه. وفيما بعد، أسلم هؤلاء الناس تدريجياً بطيب خاطرهم، ومن بينهم عطية القرظي، وعبد الرحمن بن زبير بن باطيا، وكعب بن سليم، ومحمد بن كعب. هذه الأسماء محفوظة في التاريخ. وقد أصبحوا جميعاً مسلمين، وخاصة المذكور في الأخير أي محمد بن كعب أصبح مسلماً عظيماً.

وسواء تم توزيع هؤلاء النساء الأسيرات أو بيعهن، فقد أصدر النبي ﷺ في هذه المناسبة أمراً يستحق أن يُكتب بماء الذهب كدليل على رحمته الواسعة وإحسانه إلى النساء. فقد أمر ﷺ أنه إذا تم توزيع أو بيع أي امرأة ومعها طفل صغير أو طفلة، فلا يُفَرَّق بينها وبين طفلها حتى يبلغ سن الرشد، وكذلك إذا كانت هناك أختان صغيرتان، فلا يُفَرَّق بينهما حتى تبلغ سن الرشد.

هذه هي أسوة رحمة للعالمين وإحسانه إلى النساء والأسرى والمعارضين، لكن ما هو حال المسلمين اليوم؟ إنهم يطردون الناس من بيوتهم ويشردونهم ويقتلونهم باسم الله ورسوله، ونتيجة لذلك تضيع عزة المسلمين. نسأل الله تعالى أن يمنح هؤلاء المسلمين العقل والفهم.
